PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

اشكالية الاغتراب في العصر الرقمي.

The problem of alienation in the digital age

بوبكر الصديق بن شويخ.

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)، dr.benchouikh@gmail.com

تاريخ الاستلام: 11/ 01/ 2023 **تاريخ القبول**: 02/ 03 / 2023 **تاريخ النشر**: 31/ 03 / 2023

ملخص:

حاولنا من خلال هذا البحث النظري، التعرف على أهم العوامل التي تسببت في حدوث تغييرات عميقة في البنية الاجتماعية المعاصرة، وهذا من خلال تسليط الضوء على الأشكال الجديدة للذات الانسانية الغير متجانسة داخل البيئة الافتراضية، مع عرض أهم الأسباب التي ساعدت على إحداث صراعات وصدامات بين مختلف الثقافات والهويات، الأمر الذي أدى إلى حدوث شكل من أشكال التنافر داخل الفضاءات الالكترونية، مما ساهم اغتراب الذات داخل شبكات التواصل الافتراضي.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الانفتاح، الذات، شبكات التواصل الاجتماعي، العصر الرقمي، الفضاء الافتراضي.

Abstract:

Through this theoretical study, we tried to identify the most important factors that caused profound changes in the contemporary social structure, by shedding light on the new forms of the heterogeneous human self in the virtual environment, while presenting the most important reasons that helped cause conflicts and clashes between different Cultures and identities, which led to a form of disharmony within electronic spaces, who contributed to the alienation of the self in virtual communication networks.

Keywords: *Alienation, digital age, openness, self, social networks, virtual space.*

I. مقدمة

عندما نقف على عتبة القرن الحادي والعشرين، وننظر إلى التنبؤ الجريء الذي تنبأ به بعض العلماء، والذي كان بمثابة تحذير، من أن تكنولوجيا الاتصال ستتغلغل بشكل كامل في كل ركن من أركان الإنتاج الاجتماعي والحياة، لاسيما مع تطور التطبيقات الواسعة الاستخدام في مجال تكنولوجيا الكمبيوتر والهاتف النقال، وهو ما قد يتسبب في حدوث تغييرات كبيرة وبعيدة المدى في البنية الاجتماعية المعاصرة، وفي نمط الإنتاج، وهيكل التوظيف، والصناعة...إلخ. لاسيما في خضم الربط العالمي بواسطة شبكة الأنترنت، الذي قوى الاتصال بين الناس واختزل العالم بأسره إلى "قرية عالمية صغيرة" على حد تعبير "مارشال ماكلهان".

ومنه يرى بعض المفكرين أن ظهور المجتمعات الافتراضية هو نتاج "لأزمة الهوية" في العصر الحديث. وأن هذا الربط العالمي "الغير وثيق" ينطوي على خطر محتمل، يتمثل في أنه يجعل الهوية الحديثة معرضة لأزمة أعمق. وهو الأمر الذي يطرح بإلحاح اشكالية الاغتراب داخل هذه الفضاءات الافتراضية، التي من المفترض أنها مساحات أوجدت من أجل الربط والاتصال، لا من أجل الاغتراب والانفصال".

وهو الامر الذي من شأنه أن يقوض فرص التماسك بين أفراد المجتمع التعددي الثقافات والهويات. ذلك أن المجتمع الواقعي اليوم فقد النظام والاستقرار، مما أدى إلى إضعاف النظام الاجتماعي المحافظ على الحقوق الأساسية للأفراد. على الرغم من أن شبكات الأنترنت اتاحت للناس إمكانية مد جسور التواصل، مع امكانية استعراض الأفكار المختلفة، مما تولد عنه العديد من المواقف ووجهات النظر الجديدة، الأمر الذي ساعد الناس على كسر نمط التفكير الجامد.

أولا: الاغتراب وتكنولوجيا الاتصال

إن تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة على الذات يمتد بشكل تدريجي. فقبل نهاية السبعينيات كان الناس ينظرون إلى الحاسوب على أنه مجرد أداة مفيدة، تنحصر وظيفته في مساعدتنا على انجاز بعض المهام، ومعالجة بعض البيانات، إلى جانب القيام بعدد من العمليات الحسابية بسرعة ودقة فائقين. فقد بات ينظر إلى هذه التكنولوجيا على أنها امتداد للذكاء البشري، كما كانت تعد وسيلة مساعدة لا تكل ولا تمل، ولا تتقاضى أجرًا عن المهام التي تنجزها. إلا أنه مع تطور شبكات الأنترنت لاسيما في الالفية الثانية، أدى ذلك إلى تغير نظرتنا لهذه التقنية الجديدة المؤلفة من أجهزة الاتصال وشبكات الأنترنت، والتي خلقت لنا عالما من المعلومات الرقمية. خاصة مع دخول الجيل الثاني للأنترنت، وما تولد عنه من مفاهيم جديدة مثل: الفضاء الإلكتروني، الفضاء الرقمي، الواقع الافتراضي... إلخ. إذ أصبح بإمكان الأفراد سرد عوالمهم وتقديم لمحات عامة وشبه عامة عن ذواتهم وهوياتهم عبر ميزة التفاعل التي وفرتها تكنولوجيا الوسائط المتعددة هذه.

لم يتمكن المرء من بلورة نقاشات حول العلاقة بين البشر والآلات إلا في أفلام الخيال العلمي والروايات. لكن مع تطور تكنولوجيا الأنترنت، واستمرار مجال تطبيقات الكمبيوتر في التوسع والتطور، أصبح نقاش العلاقة بين البشر والآلات أمرا ضروريا بل وملحاً أيضا. إذ لم يعد الحاسوب مجرد أداة حوسبة بسيطة، تحصر العلاقة بين البشر والآلات على مستوى "المراسلات الفردية"، بل أن التفاعل في هذه المرحلة تَعد الكمبيوتر والمستخدم إلى مستوى أعلى من ذي قبل، وصل حد "الحوار بين الإنسان والآلة".

لذا فإن الناس في هذه المرحلة باتوا ينظرون إلى شبكات الاتصال الجديدة على أنها مرآة، يمكن أن تعكس الذات الإنسانية. أي لا يمكن فقط أن تعكس هذا الإبداع الذاتي للكائن البشري وقدراته المتفاوتة في صناعة أجهزة متنامية الذكاء، وإنما أيضا من خلال تجربة الإحساس بالترابط، وتعزيز الذات (Krasnova, Kolesnikova & Guenther, 2009, p 3) من خلال خلق فضاءات افتراضية تتشكل بفعل الربط العالمي

لشبكات الأنترنت. وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى اعتبار أجهزة الكمبيوتر الإلكترونية "ذات بديلة"، وهذه الذات ماهي في واقع الأمر سوى انعكاس لصورة الذات البشرية.

لقد أدى التطور السريع للواقع الافتراضي وتقنية الشبكات، إلى تشكيل مجتمعات افتراضية، إذ يشير مفهوم المجتمع الافتراضي إلى مجموعة من الأفراد المستخدمين لشبكة الأنترنت على الخط، والذين يتواصلون ويتفاعلون فيها بواسطة وسائل الاتصال الحديثة كالحواسيب والهواتف الذكية. والتي بفضلها أصبح التعايش فيها بين الواقع الافتراضي والواقع الحقيقي ممكنا في تجربة حياتنا. كما أصبح في هذا المجتمع الافتراضي بالإمكان تقديم أنشطة متنوعة من طرف المستخدمين، تتمثل في سلسلة المنشورات المكتوبة أو المرئية، التي تُظهر التمايز في الخصائص المكونة للذات الإنسانية. وهذا بفضل الطريقة التي يَظهر بها الأفراد داخل الفضاء الافتراضي، والنابعة من حاجة الناس الأساسية والمستمرة لتقييم أنفسهم (Krause, Baum, Baumann & Krasnova, 2021, p 13).

وعليه يمكن ملاحظة مجموعة من السمات المميزة للافتراضية، والتي منها الحرية، التفاعلية، والفورية بالإضافة إلى مظاهر أخرى تتمثل في إمكانية التواجد عن بُعد. غير أن سمة الافتراضية اليوم أصبحت مرادفا (للتخفي) أي إخفاء العديد من الخصائص التي من المفترض أنها تجذب الكثير من الاهتمام مثل: الجنس، السن، الشخصية وما إلى ذلك. لكن حرية المستخدم في اختيار طريقة الظهور، ساهم بشكل كبير في تشكيل هويات جديدة داخل المجال الافتراضي، وهو ما أدى بدوره إلى تشكيل ذات بديلة لدى مستخدمي هذه الشبكات، تتماشى وطبيعة البيئة الرقمية التي نحن منغمسون فيها(Morán-Pallero & Felipe-Castano, 2021, p 622). والتي لم تعد تعترف بالقيود الاجتماعية التي تقيد الناس بشكل فعال في الحياة الواقعية. ذلك أن وسائل الاتصال الجديدة أصبحت تعمل على عدم غرس القيم المعيارية في الأفراد (Reveley, 2013, p 68).

إلى جانب ذلك فإن البعض يؤكد أن تجاوز الحدود بين الإنسان والآلة كان من قبل ظهور عصر المعلومات. حيث أن بعض الفلاسفة - قديما وحديثا - ناقشوا العلاقة بين الإنسان والآلة، كما طرحوا فكرة أن "الإنسان هو آلة"، كما قام بعض الكتاب بتأليف بعض القصص عن العلاقة بين الإنسان والآلة، وهو ما رسخ بشكل عام في أذهان الناس اشكالية الحدود بين الإنسان والآلات. فالفصل بين البشر والآلات في عصر المعلومات أصبح يمثل مشكلة كبيرة، خاصة وأن التمييز بين البشر والآلات الذكية أصبح أكثر غموضا. ومن ناحية أخرى أصبحت طبيعة العمل أكثر بساطة، وهذا بفضل الذكاء المتنامي الذي أظهرته صناعة الآلات، وهو ما جعل البشر قلقين بشأن وضعهم في عالم المستقبل.

من جهة أخرى فإن أكثر ما بات يميز وسائل الاتصال والإعلام الجديدة في عصرنا هذا، هو قدرتها على النشر السريع والفوري للرسائل، وهذا بفضل الربط العالمي بين الأفراد عبر الأنترنت والغير مرتبط بالزمان والمكان. مما اتاح لمستخدمي هذه الشبكات فرص تعزيز أفكارهم، وقيمهم، وأنماط حياتهم، ومشاركتها مع غيرهم على نطاق واسع. مما أدى إلى بروز خاصية "إلغاء الحدود الفاصلة" المدعومة بميزة لا مركزية الاتصال. وهذا ما يجعل الأشخاص يتمتعون بشعور غامر بما يحدث في الأماكن البعيدة. فقد أصبح الفضاء الافتراضي يوفر ظروفًا مواتية لتبادل الاحاسيس والمشاعر العاطفية. على الرغم من أن شبكات التواصل تعمل بشكل علني أو خفي على تفتت "وتشذر" الأفراد، وبالتالي الشعور بالاغتراب، الذي يشير إلى حالة وجودية من عدم السيطرة على شيء ما(Fisher, 2012, p 173)، وهو ما يؤدي حتما إلى أزمة في الهوية لدى المجتمعات الواقعية والافتراضية على حد سواء.

ثانيا: أزمة الهوية في الفضاء الافتراضي

يمكن تقسيم هوية الأشخاص إلى نوعين، هما الهوية الذاتية والهوية الجماعية. الهوية الذاتية هي هوية داخلية، وهي عملية استيعاب وإحساس بالعمق الداخلي، والشعور بالذات كفهم انعكاسي يتشكل من قبل الفرد على أساس التجربة الذاتية. لذا قد يساهم التواصل عبر الإنترنت مع الأشخاص الموجودين بالفعل في دائرة الأصدقاء إلى تطوير الإحساس بالذات، الذي يظل مستقرًا نسبيًا في المجالات الاجتماعية المختلفة (Allen and others, 2014, p 26). بينما الهوية الجماعية هي إحساس بالثقة يطوره الناس في مجتمعهم، بواسطة مجموعة القيم والثقافات والمعتقدات التي تتفق عليها مجموعة من الأفراد داخل المجتمع الواحد. ذلك أن الهوية الإنسانية هي محتوى مهم للبنية الإنسانية، والتي تؤثر على بقاء الإنسان وتطوره.

لذا من الصعب تحديد وفهم مشكلة الهوية وإدراكها. إلا من خلال مناقشة مسألة العلاقة مع "الأنا" أو العلاقة مع "الذات"، ومناقشة مسألة علاقة الذات مع الآخرين، أيّ مسألة الشعور بالانتماء للإنسان. فمن غير المرجح أن يحدث عدم توازن للهوية إذا كانت الأنا جزءا لا يتجزأ من مجموعة متماسكة من الآخرين الذين يرون أنفسهم بنفس الطريقة التي تنظر إليها الأنا (Walker, Lynn, 2013 ,p 158). ومنه فإن جميع القضايا التي تهتم بتحديد الهوية، تدور حول هذين الجانبين. لهذا السبب يمكننا القول أن الهوية المعاصرة تقوم على الوعي الذاتي، حيث أن الهوية تتمظهر بشكل أساسي عند الحصول على القبول وتقدير الذات، أو عند احتلال مكانة لدى الآخرين.

غير أنه منذ نهاية القرن الماضي، ومع اقتراح وتنفيذ سلسلة من استراتيجيات التنمية في مجال تكنولوجيا الاتصال، أدى ذلك إلى إحداث تغيرات كبيرة وسريعة في هوية الأشخاص. خاصة مع زيادة وصول الأفراد إلى شبكة رقمية فضفاضة، والتي لا تزال تستمر في النمو وبسرعة فائقة. حيث بات بالإمكان جمع ملايين الأشخاص معًا في مساحة جديدة، وهو ما قد يؤدي إلى إمكانية حدوث تغييرات في طريقة تفكيرنا وهويتنا. وهو ما قد يزيد أيضا في عمق أزمة الهوية في عصر الأنترنت، ذلك أن العالم الافتراضي يتيح اتصالا قائما على التعبير عن الذات الداخلية (يوسفي وآخرون، 2017، ص 92).

كما أن الحدود المتأصلة بين الذات والآخر في شبكات التواصل الاجتماعي موضع تساؤل. حيث يمكن للناس تحديد الذات بشكل تعسفي وفقًا لاحتياجاتهم، مما يجعل "الأنا تنقسم في جميع الاتجاهات"، لاسيما داخل شبكات التواصل الافتراضي، وهذا بسب استخدام المستخدمين لرموزٍ مصطنعة ومجردة، حيث يمكن لشخص واحد تعيين عدة رموز داخل الشبكة، كما يمكن في نفس الوقت استخدام نفس الرموز بواسطة عدة أشخاص. وهذا راجع لكون الرموز منفصلة إلى حد كبير عن الأفراد الحقيقيين، وأنها أداة لنقل الأفكار والمشاعر باعتبارها نوعا من أنواع اللغة الغير لفظية.

ونظرًا لوجود هويات متعددة للأفراد في العالم الافتراضي، أين تظهر "الذات" المتفردة، جنبا إلى جنب للذات المتنوعة. وهذا ما يجعل تحديد هوية مستخدمي الأنترنت بشكل واضح أمرا صعبا ومعقدا، وهو ما يعني أن الاغتراب موجود في كل مكان ويتخلل جميع السياقات التي يحدث فيها التفاعل الاجتماعي (Serpa, 2019, p 18). وهو ما جعل البعض يعتقد أن المجتمع الافتراضي يفكك هوية الجماعة في المجتمع التقليدي ويقسمها. بسبب التحرر من الواقعية، ومن كل أنواع القيود، سواء في أشكال أو أساليب التفكير، أو في طريقة العيش (لوصيف وآخرون، 2015، ص 25).

إلى جانب ذلك فإن القدرة على الاتصال بين الأشخاص في هذا الفضاء، المدعوم بحرية التعبير، مكنت الأفراد من اصطناع هويات جديدة "ومخوصصة"، وهو ما تسبب في تقويض العلاقات الهرمية القائمة في المجتمع الواقعي، مما يجعل التواصل بين الناس مؤسس على مبدأ التحرر. والأهم من ذلك أنها تشتت

المجتمع وتجعله منفصلاً عن الزمان والمكان، أي أن مستخدمي الأنترنت يمكنهم أن يصبحوا أشخاصًا مغايرين بذوات مختلفة عن ذواتهم الأصلية. رغم أن طريقة الاتصال هذه، يمكن أن تحقق حالة اتصال مثالية، وظروفًا ملائمة للتواصل دون أي وازع. إلا أنها يمكن أن تعمل على كسر الهوية الثابتة للأشخاص في الواقع المادي. مما يعني أن هذه الشبكات لديها القدرة على زيادة مشاعر الاغتراب (Qureshi-Hurst, 2021, p 14).

إن ازدياد عمق أزمة الهوية واتساعها في العصر الرقمي، تسبب في احداث اضطرابات اجتماعية أكبر. في ظل عدم تمكن البعض من تحقيق التعايش مع مختلف المعتقدات الدينية والفلسفية والأخلاقية. ذلك أن الأفراد داخل المجتمعات المتباينة يصعب عليهم تكوين وجهات نظر اجتماعية متوافقة تمامًا، حول مواقف الحياة والقيم ووجهات النظر العالمية. وهو ما يعزز فكرة صعوبة تحقيق "التعددية المعقولة" في الفضاء الرقمي. خاصة وأن البعض يرى أن تأثير تكنولوجيا الاتصال الواسعة الانتشار - والتي يفترض أنها محايدة – أصبح كبيرا، لاسيما على قيم الأفراد والمجتمعات في البلدان المتأخرة. مما يخفي صراعا قيميا عميقا تحت طائلة التنوع، والانفتاح، والتعايش... إلخ.

ثالثا: غياب الانضباط الذاتي داخل البيئة الإلكترونية

إن تعدد خصائص تكنولوجيا الاتصال اليوم، مكنت الأفراد من طرح مختلف وجهات النظر، من مختلف الزوايا عبر شبكات التواصل الالكتروني، رغم إمكانية وجود معارضة وتعارض بين مختلف الآراء. لذا فإن التسامح هو معيار أساسي لكبح الخلافات من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب السماح لأصوات مختلفة بالظهور، بحيث يمكن للجميع التعبير عن آرائهم بحرية كاملة، وخلق بيئة رأي عام مشتركة. غير أن التسامح في المجتمع الافتراضي ليس بأي حال من الأحوال غير محدود، فهو الأخر له حدوده الخاصة. لذا لا ينبغي أن يتحول التسامح غير المحدود إلى تواطؤ، الأمر الذي قد يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم تحقيق روح التسامح.

من وجهة نظر أخرى، هناك بعض الأصوات التي أصبحت تنادي بضرورة حظر استخدام الأنترنت، بسبب الدعاية، والاحتيال، وسرقة الأسرار وغيرها من الأعمال، التي تنتهك النظام الاجتماعي والنظام العام. لأن بعض النماذج التقليدية للأخلاقيات المعيارية لم تعد قابلة للتطبيق بشكل كامل في الوسط الرقمي. الأمر الذي يتطلب منا إنشاء ووضع لوائح عالمية ملزمة لكل مستخدمي شبكات الأنترنت بشكل كلي. فهناك إجماع من وجهة نظر منطقية على وضع ضوابط وقواعد وتنظيمات صارمة، تحد من الانتهاكات والتعدي على الخصوصيات، وتعمل على تحقيق الاحترام الكامل بين الأفراد على أساس التعايش السلمي داخل شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال عدم التغاضي عن بعض التجاوزات، وهذا من أجل الحفاظ على تنوع الهويات في الفضاء الافتراضي.

من وجهة نظر ثانية، يحتاج بقاء الناس وتطورهم، إلى بيئة اجتماعية جيدة التنظيم. وبهذا المعنى يجب على أي فرد أو مجموعة أن تأخذ هذه الصورة في الاعتبار، لبناء عالم يفضي إلى بقاء البشر وتطورهم. وعليه يجب أن يدرك كل فرد وكل مجموعة بوعي، أنه من خلال التوحيد الفعال للمصالح العامة للأفراد والجماعات الإنسانية فقط، يمكنهم حماية مصالحهم الخاصة بشكل فعال. لذا فإن المجتمع الافتراضي يتطلب متطلبات أعلى مستوى للانضباط الذاتي والأخلاقي للأفراد والجماعات. فهذا العالم الافتراضي عالم من التنوع والتباين والاختلاف. يحتاج ظروفًا معينة لتحقيق التماسك في العلاقات والروابط داخله. فهذا ليس من السمات الأساسية للمجتمع الحديث فحسب، ولكنه أيضًا مطلب أساسي للمجتمع الحديث.

في الأخير يمكن القول أن الانضباط الذاتي والأخلاقي، وقدسية المجال الخاص، لم تعد من السمات البارزة للمجتمع الحديث، الذي من متطلباته الالتزام بالمعايير الأخلاقية والاجتماعية. ذلك أن المساحة الحرة التي أوجدها المجتمع الحديث، تتطلب من الناس أن يكون لديهم حس الانضباط الذاتي من حيث الخيارات

الأخلاقية، مما يساعد على تحسين المجال العلائقي، وهو ما يؤكد أهمية القوة الأخلاقية الملزمة للممارسات والاستخدامات داخل شبكات الأنترنت. ذلك أن الهدف الحقيقي من وراء التواصل داخل الفضاءات الافتراضية، هو زيادة الوجود الاجتماعي، إلى جانب محاولة خلق الشعور المشترك بالانتماء النابع من العلاقات الاجتماعية الموجودة، وكذا خلق صلة إضافية ومتانة للعلاقة الغير متماسكة في الواقع الاجتماعي.

رابعا: انتهاك الخصوصية داخل الفضاءات الرقمية

إن النشر على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي – من وجهة نظر تفاؤلية - يظهر وجود أنماط جديدة للتعريف بالذات، وهذا من خلال التفاعل مع المعلومات والمنشورات المتعلقة بالمواضيع ذات الاهتمام المشترك، وكذا بلورة النقاشات داخل شبكات التواصل الاجتماعي، التي قد يكون لها تأثير إيجابي من خلال تعزيز التفاعل، مما يساعد في إبراز سمات الهوية الفردية. ذلك أن الاتصال المقنِع مفيد لإقامة علاقات صداقة بعيدا عن أنماط التفكير السلبي التي تسببها الصور النمطية في الحياة الواقعية. حتى وإن كانت الفضاء الإلكترونية تشجع في كثير من الأحيان مستخدميها على الفصل بين عالمهم الحقيقي وهوياتهم الافتراضية. من خلال تطوير هويات افتراضية جديدة مصطنعة ومزيفة.

وعلى صعيد آخر فإنه يمكن أن يشكل الانخراط في النقاش عبر شبكات الأنترنت مصدر ازعاج بشكل خاص لأولئك الذين يصبحون هدفا للعدوانية بسبب التهجمات الشخصية، وهو ما دفع بالعديد من الباحثين للمطالبة بضرورة حماية الحياة الخاصة (**Jones, 1997, p 21**) لمستخدمي الأنترنت. ذلك أن البعض يرى أن الاحترام المتبادل داخل الفضاء الرقمي من الصعب تحققه بشكل كامل. خاصة وأن النقاش على الأنترنت في كثير من الأحيان، يميل بقدر كبير إلى النقاش غير المتمدن، حيث يهيمن العداء، والتنمر، والكراهية على النقاش، الأمر الذي لا يشجع على المشاركة من قبل الاشخاص المهمشين والمستبعدين. مما يعني أنه يصعب تحسين سلوك الأفراد خلال النقاش العام على الأنترنت، وهذا ما يفسر عدم وجود رغبة لدى الكثير من المستخدمين في الانخراط في النقاشات المثارة، وهو ما يؤكد أيضا تحول طبيعة الاتصال إلى اتصال يتسم "بالهمجية"، المدفوع بحب السيطرة على الغير.

ومع تزايد وتواتر الهجمات الإلكترونية التي أصبحت تأخذ منحاً تصاعديا، ومع استمرار التهديدات المرتبطة باستخدام الشبكات، التي بات يتعرض لها الأفراد والمجتمعات والمنظمات على حدٍ سواء، وبسبب تغير أنماط حياة الناس وأنماط الاستهلاك وأنماط الاستخدام في الوقت الحاضر، جعل كل ذلك من الأنترنت مصدر تهديد حقيقي للحريات وللأشخاص على حد سواء. وهو الأمر الذي يتطلب منا مراجعة واسعة للنُهج الحالية، ولمختلف الأساليب القانونية والتنظيمية والتكنولوجية لمكافحة هذه الظاهرة المستجدة في عصر المعلومات، وهذا من خلال صياغة حلول شاملة ودفاعات فعالة لتحقيق الأمن السيبراني، والحد من الجرائم الالكترونية التي قد تلحق أضرارا جسيمة على حياة الأفراد، وعلى النسيج الاجتماعي بشكل عام.

خامسا: هشاشة العلاقات الانسانية داخل شبكات التواصل الاجتماعية

من الصعب تحديد مفهوم "شبكات التواصل الاجتماعية". ذلك أن البعض يرى أن الشبكات الاجتماعية على الأنترنت لا وجود لها على أرض الواقع، بينما يرى البعض الآخر أن الشبكات الاجتماعية الافتراضية، هي امتداد للعلاقات الاجتماعية المشكلة سلفا بين الناس، والذين يُعتبَرون أعضاءً في هذه الشبكات التي من الممكن أن يؤدي استخدامها إلى تمتين العلاقات الاجتماعية. فعملية التواصل داخل مواقع التواصل الاجتماعي، تؤدي إلى الربط بين الأشخاص المستخدمين لنفس شبكة التواصل، من خلال طلبات

الصداقة، والقدرة على عرض المعلومات عبر آليات النشر بواسطة الخيارات التقنية المتاحة، التي توفرها شبكات التواصل الاجتماعي.

إن مواقع التواصل الاجتماعي قد تمكن الأفراد من القيام بتجربة متفاوتة الدرجات من التعامل مع أشخاص آخرين، من أجل نسج أو الحفاظ على العلاقات الاجتماعية أو تنميتها. غير أن ممارسات المستخدمين على شبكات التواصل الاجتماعية تختلف باختلاف المواقع والأفراد. كما أنه على الرغم من أن هذه الشبكات تسمح لمستخدميها بتوظيف إمكانيات الفعل التقنية والاجتماعية من أجل الوصول إلى المنشورات الخاصة بهم على أيدي أفراد من دائرتهم الاجتماعية. وهذا ما يجعل تقاسم المحتوى المنشور الذي يهدف إلى الحفاظ على الشبكات الاجتماعية وتحقيق الألفة بين الأفراد، وسيلة لتعزيز العلاقات الإنسانية بين الأصدقاء الذين تفرقوا. إلا أنه في واقع الأمر لا تعكس هذه الخيارات أنواعا مختلفة من الصداقات، كما لا تعكس أنواعا مختلفة من العلاقات الاجتماعية.

بينما يصبح "ما هو فردي، أو ما يتعلق فقط بالفرد، في مقابل ما هو جماعي، أو يؤثر على مصالح الجماعة قيد التفاوض، خاصة وأن وسائل التواصل الاجتماعي تسمح بالقيام "بتحديثات الحالة" و "التغريدات" للأشخاص من أجل مشاركة لمحات عن حياتهم اليومية مع الآخرين (Wilcox, Stephen, 2013, p 91). فالعلاقة بين العام والخاص لكل ما هو مجسد أو رمزي أكثر أو أقل وضوحا، لأن ما يهم هنا هو أهمية الصلة الاجتماعية لأعضاء الشبكة الاجتماعية. حيث يمكن تقييم المحتوى المنشور وفقا لهذه العوامل. ويمكن الحكم عليه من حيث كم المعلومات والمغزى منها.

سادسا: تلاشي الحدود بين الخاص والعام في العالم الافتراضي

إن الأشياء الخاصة هي الأشياء التي نحن قادرون و/أو يحق لنا الاحتفاظ بها بعيدا عن متناول أيدي الآخرين. ذلك أن الأفراد لديهم الحق في الخصوصية، وهو ما دفع بمالكي شبكات التواصل الاجتماعي من وضع سياسات تحد من الوصول إلى المعلومات المتعلقة بحسابات المنتسبين لهذه الشبكات. إلا أن ذلك لا يضمن النجاعة الكاملة، لأن ذلك يتوقف على قدرات المستخدمين الآخرين على التحكم في تقنيات الحاسب الألي والأنترنت، وهو ما يمكن أن يمكنهم من النفاذ للمعلومات المتعلقة بشخص ما أو فك المعاني الغامضة التي يستخدمها.

حيث يتم التعرف على مستخدمي مواقع الشبكات الاجتماعية، من خلال المواقع التي تسمح للمستخدمين بتقديم لمحة عامة أو شبه عامة عن ذوات وهويات مستخدميها الحقيقية على صفحاتهم الشخصية، مما يتيح امكانية النشر (اللامقيد) عبر صفحات شبكات التواصل الاجتماعي. ومنه فإن فهم دور وسائل الإعلام والاتصال الجديدة في تحقيق متانة العلاقات الاجتماعية، يتم من خلال إبقاء الأفراد على اتصال، وتمكينهم من مشاركة المناسبات الخاصة مع غيرهم حتى ولو كانوا على مسافة بعيدة، وهذا بفضل القدرات المتنامية لدى الأفراد في استخدام الميزات التقنية الجديدة، خاصة لدى المستخدمين الذين استطاعوا تحقيق مستويات مختلفة من الأنشطة، باستخدام وسائل الاعلام والاتصال الجديدة هذه.

ومنه ومن منظور اجتماعي فإنه يمكن تحديد الحدود العامة/ الخاصة، بالنظر إلى السياقات الأخرى، غير تلك التي تقوم بتسليط الضوء على الأبعاد العامة/ الخاصة التي تبين الفروقات الموجودة بين الأشخاص. وعليه بإمكاننا التمييز بين المجالين العام والخاص عبر السياقات الأضيق أو الأوسع، فعلى سبيل المثال: المنزل هو الخاص عندما يقارن مع ما يجاوره. وفي الوقت نفسه يوجد داخل المنزل أماكن عامة وأماكن خاصة. وعلى مستوى أعلى أيضا، قد تظهر أمور المجتمع على أنها خاصة مقارنة بشؤون على مستوى الدولة. أو مقارنة بمجتمعات محلية وأخرى أجنبية. كما تشكل المدن النطاق الاجتماعي والمكاني لشبكات التفاعل الاجتماعية

الأكبر مقارنة مع الحي. لذا الوصول الى تفسير العام والخاص يكشف عن الشبكات الاجتماعية المختلفة وديناميتها في سياق تقاسم الاهتمامات المشتركة تماشيا مع الواقع المعاش.

ويتجلى مفهوم الخاص والعام في المعاني المختلفة، المتعلقة بمفاهيم المجال الخاص للأفراد، والسياقات الاجتماعية المختلفة، التي غالبا ما تكون فيها المصالح الخاصة للأفراد، في صدام مع الصالح العام(Goodall , 2005, p 192). إذ لا يمكن التمييز بين الخاص والعام، إلا عن طريق التحليل السوسيولوجي للتفاعلات الاجتماعية للأفراد داخل المجال المشترك، الذي من مبادئه الاستقلالية التي تعد شرط أساسي لممارسة الحقوق في الفضاء الخاص، غير أن هذه الحرية في واقع الحال، تكون في الغالب ممزوجة بآليات التسلط والسيطرة، خاصة إن كان هناك تعدد للمصالح والأهداف، التي تزداد تنوعا بتنوع الأشخاص. حيث يشير مفهوم العلاقة الانسانية في علم الاجتماع، إلى العلاقات التي يقيمها شخص ما مع مجموعة من الأفراد، بحيث يكون الفرد هو محور تلك العلاقات (معتوق، 2017، ص 170).

ومنه فقد أظهرت العديد من الدراسات أن المجالين العام والخاص يتداخلان بصورة معقدة في مواقع التواصل الافتراضي. مما يدعم الموقف الذي يرى أن الميديا الجديدة تعمل على طمس الحدود المرسومة، وهو ما ينطوي على تفسيرات هامة عن استقبال شكل من أشكال الرسائل التواصلية، والتفاعل المتكرر بين العديد من المستخدمين المتباعدين في الزمان والمكان، والمتباعدين في الهويات والثقافات أيضا. إلا أنه لا يمكن في كثير من الأحيان لهذه الأشكال التواصلية أن تعمل دوما على تحسين العلاقات داخل الشبكات الاجتماعية في المجتمع المعاصر.

سابعا: الحداثة وصناعة الاغتراب

لقد أدى تطور تكنولوجيا الشبكات والاستخدام المتنامي للمعرفة، إلى تسريع عملية العولمة. مما مثل القوة الدافعة لتشكل عصر المعلومات، أو ما بات يعرف "بعصر ما بعد الحداثة". لذا يرى البعض أن الفضاء الافتراضي هو نوع من المساحة اللامكانية للقيام ببعض الأفعال، مما يعطي نوعا من الواقع والمتانة للحياة البشرية وللعالم الذي ينشأ بين الأفراد. فهو تأصيل للوجود الإنساني الفردي الذي يستمر من خلال الفضاء العام الذي عملت الحداثة على مر العقود على تأصيله في الواقع الدنيوي، الذي من خلاله يستطيع المرء الظهور في الحياة العامة، ذلك أن الأفراد يظهرون أمام الآخرين لكي يتم الاعتراف بهم، أي أنه لا يمكن أن يبقى الفرد في عزلة، كما لا يمكنه أن يعتمد على التفكير الذاتي وحده فقط، على حد تعبير "جيروم كوهن".

ومن جهة أخرى يعتقد "هابرماس" أنه لا يجب علينا أن نضحي، بالمكاسب التي جلبتها الحداثة، ألا وهي زيادة المعارف، والفوائد الاقتصادية، والتوسع في الحريات الفردية (فينليسون، 2015، ص 79)، لأن ذلك ما أدى إلى زيادة توسع الفضاءات التشاركية، التي تمثل مساحات للحرية، وهو ما يعد منعرجا حاسما لفهم الخطاب الفلسفي للحداثة (معتوق وآخرون، 2015، ص 46). وهو عكس ما تعتقده "حنه أرندات" إذ ترى أن الحداثة جعلت الفضاءات العمومية هشة بشكل خاص، ومهددة بالانقراض في عصر الحداثة المتأخرة، بل وتعد أبرز أسباب اختفائها، لأن الحراك الاجتماعي الذي يميز الحداثة، أقحم المجال الخاص في المجال العام (دولا فيكتورا، 2013، ص 51)، ما أدى إلى الابتعاد عن المشاركة، في مختلف نشاطات التفكير الجماعي في الحداثة، مما صعب على نحو متزايد عملية التواصل والتفاعل مع الآخرين.

وقد جادلت في وقت سابق "حنة أرندات" حول أداء "الهوية العامة" أو "الذات العامة" التي يتم بناؤها في فضاءات التواصل، التي تتميز بفروقات واضحة بشكل جلي مع الهويات الأخرى، والتي تتسم بالتعقيد مثل الهويات الخاصة والاجتماعية في العالم المادي. إذ تعتبر "حنة أرندات" أن ذلك جزءا لا يتجزأ من عملية تحديد الهوية الفردية واكتشاف الذات، والتي هي ضرورية لوجود الإنسان. وبالتالي فإن التجربة الكاملة

لتحديد الهوية الذاتية تتطلب إجراءات عامة. وعلاوة على ذلك فإن تجربة الفردي في الفضاء الافتراضي تعد تجربة لأداء هويات الأشخاص داخل مساحة مشتركة مع الآخرين. حتى وإن كان ظهور وتواجد هذه الهويات في الفضاء الافتراضي لا يعني بالضرورة أنه سيؤدي إلى التساوي مع الآخرين في الواقع المادي.

ومنه ترى الفيلسوفة الامريكية "نانسي فريزر" أن الفضاءات الإلكترونية في المجتمعات الحديثة، لا تزال لا تسمح حتى الآن بالمشاركة في الحياة العامة على نطاق أوسع. وهذا ما يؤكد على عدم وجود أيّ نوع من المتانة في الروابط بين أفراد المجتمع الواحد، لأن الهدف الرئيسي من استخدام شبكات التواصل الافتراضية، لم يعد من أجل الاستيعاب الثقافي وإحداث تجانس وتقارب في الرؤى والافكار، وإنما أصبح من أجل السعي المستمر لتحسين الصورة الذاتية وفقا للمجموعات المتنوعة من الأفراد الحاملين لثقافات مختلفة داخل بيئة رقمية مشتركة. كما أن الفصل بين الزمان والمكان وتطوير آلية عدم التمركز يجعل تأثير القومية والمحلية أضعف نسبيًا على الناس. وعلى العكس من ذلك فإن الأحداث التي تحدث في الأماكن البعيدة تجعل الناس لديهم إحساس بالألفة، أكثر من الأحداث التي تحدث على الصعيد المحلي. لذا فإنه يمكن القول أن: تقنية الشبكة وتكنولوجيا الاتصال، تتسبب في تغييرات جذرية في حياة الناس اليومية.

زيادة على ذلك فإن هناك أيضا من يلقي باللوم على الحداثة، لأنها أدت إلى عدم الاهتمام بالحياة العامة والاغتراب، حيث أصبحت وسائل الإعلام والاتصال تعمل على اعادة انتاج الثقافة بشكل يزيف الحقائق ... وانتشار مظاهر الاغتراب (Aubert, (2015, p 16) ، بعد أن كانت المجتمعات التقليدية، تساهم في ازدهار الحياة الاجتماعية للإنسان بسبب متانة المعايير والضوابط المجتمعية، التي من خلالها فقط يتسنى للمواطنين اتخاذ القرارات الجماعية، التي تؤدي إلى تغليب المصالح العامة للمجتمع، على حساب النزعة الفردية، الرامية إلى تحقيق المنفعة الشخصية. لاسيما وأن هناك علاقة دائمة التوتر، مع الحداثة بكل ما تتضمنه من ميل مستمر نحو الجديد، واعادة النظر في المألوف (أفاية، 1998، ص 164). الأمر الذي قد يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم صيانة الهويات الاجتماعية، وإلى اضعاف الروابط والعلاقات الانسانية.

II. خاتمة:

لقد أصبحت الشبكات الافتراضية توفر اليوم دعمًا تقنيًا قويًا لعملية العولمة. إلا أنها وفي الوقت ذاته تزيد وبشكل كبير من احتمالية حدوث صدام بين القيم المختلفة، مما قد يؤدي إلى إضعاف الهوية الذاتية. ويعود السبب في ذلك في نظر البعض إلى عدم متانة الروابط والعلاقات التي تنشأ بين المستخدمين الذين يتواصلون فيما بينهم لفترة طويلة في العالم الافتراضي. وهو ما يعكس حقيقة أن الأشخاص الذين يتجولون في العالم الافتراضي بدرجات متفاوتة، يسعون بشكل دائم إلى ايجاد مكان داخل الفضاء الافتراضي، لكونهم يعانون من حالة من نكران الذات.

كما أن عملية تبادل المعلومات بين مستخدمي شبكات الأنترنت، قد تزيد من حدة النزاعات إلى مستوى غير مسبوق، وهذا راجع لغياب الاحترام الكامل للأفكار المختلفة والمتنوعة للأفراد داخل هذه الفضاءات، وكذا عدم وجود توافق في الآراء بسبب تعدد الثقافات، وتباين الهويات، وتنوع المجتمعات، مما يجعل الأنظمة، والقيم، والمفاهيم التي سبق الاعتراف بها بين الأفراد موضع شك ومقاومة، بسبب غزو قيم مصطنعة، نشأت في عالم غير واقعي. ومنه وبالنظر لهذه الأسباب والعوامل كلها، يمكن القول في الختام أن: "الذات الإنسانية من الصعب أن تتشكل وتتبلور داخل البيئة الافتراضية، لسبب بسيط هو أن هذه البيئة الافتراضية ذات طبيعة متقلبة ومتغيرة، ومليئة بالاختلافات والمتناقضات.

المراجع:

- دولا، فيكتورا كوينتين(2013)، مفاهيم المواطنة والفضاء العمومي عند حنة آرنت وهابرماس: استمرارية السياسة من العصور القديمة إلى الحداثة، ترجمة: نور الدين علوش، المجلة العربية لعلم الاجتماع اضافات، العدد 22.
- فينليسون، جيمس جوردن(2015)، يورجن هابرماس (مقدمة قصيرة جدا)، ترجمة: أحمد محمد الروبي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- لوصيف، سعيد وآخرون (2015)، البحث في إشكالية علاقات الجزائريين بالابداعات التقنية: مرافعة لتناول نقدي متجدد، وسائط الاتصال بين الاستعمال والاستخدام، أشغال الملتقى الوطني الأول 10-11 ديسمبر 2014، جامعة الجزائر3، الجزائر.
- معتوق، فتحية وآخرون(2015)، مقاربة سوسيولوجية التلقي بين البؤس والشعبوية، أشغال وسائط الاتصال بين الارسال والتلقي، الجزائر، أشغال الملتقى الوطني الأول 10-11 ديسمبر 2014، جامعة الجزائر3، الجزائر.
- معتوق، فتحية وآخرون(2017)، مقاربة سوسيولوجيا الفضاء الخاص في الميديا الجديدة، الفضاء العمومي ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي "التشظي وإعادة قراءة المفهوم"، أشغال الملتقى الدولي المنعقد 19-20 أفريل 2017، جامعة وهران1، الجزائر.
- يوسفي، اسمهان وآخرون(2017)، إثنوغرافيا المجموعات الافتراضية في المجتمعات المتحولة سياسيا أو في البحث عن الهوية المفقودة في زمن النيو ليبرالية، الفضاء العمومي ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي "التشظي وإعادة قراءة المفهوم"، أشغال الملتقى الدولي المنعقد 19-20 أفريل 2017، جامعة وهران1، الجزائر.
- **Allen, K. A, Ryan, T, Gray, D. L, McInerney, D. M & Waters, L (2014), Social media use and social connectedness in adolescents: The positives and the potential pitfalls, The Educational and Developmental Psychologist, 31(1), 18-31.**
- **Aubert, I (2015), Habermas. La théorie sociale: Une théorie critique de la société, Cnrs.**
- **Fisher, E (2012), How Less Alienation Creates More Exploitation? Audience Labour on Social Network Sites. triplec: Communication, Capitalism & Critique, Open Access Journal for a Global Sustainable Information Society, 10(2), 171-183.**
- **Goodall, P (2005), Theorising the private sphere, Cultural Studies Review, 11(2), 191-195.**
- **Jones, S (1997), Virtual culture: Identity and communication in cybersociety, Virtual Culture, 1-272.**
- **Krasnova, H, Kolesnikova, E & Guenther, O (2009), " It won't happen to me!": self-disclosure in online social networks.**
- **Krause, H. V, Baum, K, Baumann, A & Krasnova, H (2021), Unifying the detrimental and beneficial effects of social network site use on self-esteem: a systematic literature review, Media Psychology, 24(1), 10-47.**
- **Morán-Pallero, N & Felipe-Castano, E (2021), Self-concept in social networks and its relation to the affect in adolescents1, Psicología Conductual, 29(3), 611-625.**
- **Qureshi-Hurst, E (2021), Anxiety, alienation, and estrangement in the context of social media, Religious Studies, 1-12.**
- **Reveley, J (2013), Understanding social media use as alienation: A review and critique, E-Learning and Digital Media, 10(1), 83-94.**
- **Serpa, S (2019), Alienation on social media. Studies in Media and Communication, 7(1), 17-20.**

- **Walker, M. H & Lynn, F. B (2013), The embedded self: A social networks approach to identity theory, Social Psychology Quarterly, 76(2), 151-179.**
- **Wilcox, K & Stephen, A. T (2013), Are close friends the enemy? Online social networks, self-esteem, and self-control. Journal of Consumer research, 40(1), 90-103.**